# الجانب الآخر في شعر

# عمر بهاء الدين الأميري

لا أدري إلى أي مدى يسمح هذا الملف الذي تخصصه العزيزة "المشكاة" للراحل الكبير الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري للحديث عن جانب آخر من شعر هذا الشاعر ، ربما يكون مفيداً ، في نظري ، للعديد من الشعراء الإسلاميين المعاصرين، ذلك أن مقام الرثاء يستدعي المديح بالضرورة ، وربما يكون من الشاذ الحديث عن الجانب الآخر، ولكنني سأتجاوز هذه العقدة للاعتبار الذي ذكرت ، فليعذرني الأخوة في "المشكاة" ، ومعهم جميع محبي الراحل الكبير ، والذي لا أخالني إلا واحداً منهم .

قبل ذلك لا بد لي من وقفة قصيرة مع الجانب الذين أفسح للراحل الكبير أن يكون في عداد الشعراء الخالدين في هذه الأمة، بل وعلى مستوى الإنسانية جمعاء ، وهو الجانب الذي منحه بحق لقب "شاعر الإنسانية المؤمنة " .

ذلك أن القصيدة الخالدة هي تلك القصيدة التي تتمرد على المحددات الزمانية والمكانية ، وتكتسب فضاءا إنسانياً يجعلها ذات مذاق خاص في أي زمان أو مكان قرأت فيه ، وقد كان للأستاذ الأميري -رحمه الله- نصيب جيد من هذا النموذج من القصائد التي تمردت كذلك على حواجز اللغة وترجمت إلى العديد من اللغات الأخرى ، وكان على

* المقال، مساهمة في ملف عن الشاعر الأميري نشر في مجلة "المشكاة" المغربية.

رأسها قصيدة "أب" المعروفة ، والعديد من القصائد التي نشرت ضمن ديوان "مع الله " و "نجاوى محمدية" ، وفي بعض الصحف والمجلات .

لا أريد الإطالة في هذا الجانب ، فلا بد أن أكثر المشاركين في هذا الملف سيتعرضون له بالدرس والتحليل لما له من أهمية .

أعود إلى الجانب الآخر الذي أشرت له في إطلالة حديثي ، ففي شهر حزيران الماضي تفضل الاستاذ عبد الله الطنطاوي ، الأديب السوري المعروف وصديق الشاعر المرحوم ، وألقى محاضرة حول الشاعر ، حياته ، وشعره، وقد كنت أحد الذين شهدوا تلك المحاضرة القيّمة ، وقبل ذلك بسنوات حضر الشاعر إلى عمان وألقى أمسية شعرية ، ذكر فيها أن لديه أكثر من ٣٢ ديواناً مخطوطاً . والملاحظة التي أبديتها في المقامين هي قلة الشعر في نتاج الشاعر .

محاضرة الاستاذ الطنطاوي كانت مليئة بالمقاطع الشعرية من أعمال الشاعر ، ولكني لم أعثر فيها إلا على قليل من الشعر وكثير من النظم والمواعظ . وعندما ذكرت ذلك في معرض تعقيب لي على المحاضرة ، دافع الأخ المحاضر بالقول إن تهمة المواعظ هذه انما هي ذريعة يراد منها النيل

من شعر الإسلاميين .

والحقيقة أنني لا أتفق مع الاستاذ الطنطاوي في ذلك ، إذ أنني أرى أن أكثر الشعر الإسلامي ما زال نظماً ومواعظ بالفعل ، واتهام الآخرين لنا بذلك لا يعني أن نتمسك بهذا الخلل وننظّر له .

وهنا لا بد لي أن أشير إلى أن الحضور قد ذكر أنه قد سمع من المرحوم الشاعر قوله بأنه لو أراد أن يجعل من جميع كلامه أو حديثه شعراً لفعل ، وهذه قضية مهمة تشير إلى أن المرحوم كان يدرك أن معظم شعره كان من نوع النظم الوعظي .

إن قضية الخطابة المباشرة في الأدب الإسلامي وخاصة الشعر قضية في غاية الأهمية ، وهي ليست ضربة لازب تلازم هذا الأدب ولا يمكن التخلص منها ، ولا بد من الإشارة أنه حتى النقاد الإسلاميين -على قلتهم- قد نوهوا إلى أن هذه المثلبة التي تقلل من قيمة الأدب الإسلامي وخاصة الشعر ، ومن هؤلاء الاستاذ محمد قطب والدكتور عماد الدين خليل .

إن من المعيب حقاً أن يدرك الشعراء الإسلاميون هذه

القضية ويتجاهلوها ، لأن القصيدة إذا كانت ستتحول إلى خطبة وعظية أو مقالة منظومة ، فأولى أن تكتب مقالة ، ستحظى في الغالب بعدد قراء أكثر من القصيدة .

إنها ليست دعوة إلى منهج (الفن للفن) ولكنها دعوة لأن يحمل الشعر الفكر لا أن يحمل الفكر صورة الشعر . لأن القصيدة لا يمكن لها أن تكون خالية من الفكر ، ولكن الفرق كبير بين أن تحمل القصيدة فكرة ما وبين أن تظهر الخطبة أو المقالة الفكرية بصورة قصيدة .

لقد كتب الراحل الأميري عدداً ضخماً من القصائد والدواوين ولكننا لا نعثر فيها إلاعلى قليل من الشعر وكثير من الفكر والخطب والتنظير، وهو في الغالب تنظير سطحي لأنه ليس بإمكان القصيدة أن تستوعب قدراً كبيراً من التنظير المشفوع بالأدلة والبراهين ، وبذلك يكون الشاعر قد أهمل فنية القصيدة ولم يأخذ بعده في التنظير لأفكاره .

إنني لا أنكر شاعرية الشاعر ، فقصائده الرائعة خير دليل على علو مكانته ، وسمو قدراته الشعرية ، ولكني أنظر إلى تراثه الشعري من خلال المنظار الذي ذكرت فأجد ما قاله من شعر كان أقل بكثير مما عرض له من فكر .

إنني أقول هذا الكلام وأنا أتطلع إلى المستقبل من خلال هذا الكم الكبير من الشعراء الإسلاميين، الذين آمل أن يأخذوا مكانهم الطبيعي على خريطة الشعر العربي وحتى العالمي ، ولا يكون ذلك إلا بإيلاء الجانب الفني للقصيدة أهمية كبيرة مع عدم اهمال الفكرة بالتأكيد.

●●●